**المحاضرة الرابعة عشرة:**

**التجديد الشعري المهجري(2)**

صار مضمون القصيدة عند الشعراء المهجريين مستوحى من الطبيعة، وتأملا في وجود الحياة والإنسان فيها، وتعكس أيضا حوارا بين الأنا والآخر ، يقول جبران خليل جبران:

 هو ذا الفجر فقومي ننصرف عن ديــــار مالنا فيــها صديق

 ما عسى يرجو نبات يختـــلف زهــــره عن كل ورد وشقيـــــــق

وجديد القلب أنى يأتــــــــــــــــلف مع قلوب كل ما فيها عتيق

هو ذا الصبح ينادي فاسمعي وهلمي نقتـــــــــــــــــفي خطواته

قد كفانا من مســـــــــــــــــــــاء يدعي إن نور الصبح من آياته

فجبران في هذا المقطع شاعر إنساني صاحب معاناة كبرى يبحث عن السعادة برؤية تأملية جديدة وصياغة فنية جمالية تختلف عن رؤية الشاعر التقليدي المحافظ؛ إذ نجد التجديد في تنويع القوافي وإعطاء نوعا من الحرية في الحركة والتلوين الصوتي، أما الصورة فوجدانية رمزية معتمة على ثنائية الخير والشر والعدل والظلم، الروح والجسد، الجمال والقبح، الكمال والنقصان. واستمد ألفاظه من قاموس الطبيعة ومن أمثلته (الفجر، النبات، الزهر، الورد، الصبح، الوادي، الغدير، الكروم).

وفي مقطع آخر يقول:

قد أقمنا العمر في واد تسير بين ضلعيه خيالات الهموم

وشربنا اليأس أسرابا تطيـــــــــــر بين ضلعيه كعقبان وبـــــــــــــوم

وشربنا السقم من ماء الغدير وأكلنا السم من فجج الكروم

ولبسنا الصبر ثوبا فالتهب فغدونا نتردى بالرمــــــــــــــــــــــــــاد

وافترشناه وسادا فانــــــــــــــــــقلب عندما نمنا هشيما وقتــــــــــــــاد

 يا بلادا حجبت منـــــــــذ الأزل كيف نرجوك ومن أين السبيل

- يبدو مضمون قصائدهم مشبعا بالنزعة الوجدانية والالتفات إلى العواطف الإنسانية مع "محاولة التجديد في عناصر الشكل؛ بكسر رتابة القافية الموحدة، والموسيقى الصاخبة واختيار الألفاظ الهامسة من لغة الحياة اليومية، كل ذلك بدأ يظهر في أشعار المهاجرين إلى الأمريكتين"[[1]](#footnote-2) فهاهو إيليا أبو ماضي في قصيدة له يصف يشارك بأحاسيسه ألم َ فقير بعاطفة إنسانية تتلاشى فيها الحدود بين أفراد المجتمع البشري برمته، يقول إيليا[[2]](#footnote-3):

 نفس أقام الحــــــزن بيــــن ضلوعه والحزن نار غير ذات ضياء

 يرعى نجوم الليل ليس به هوى ويخـــــاله كــــــلفا بهــــــن الرائــــــي

 في قلبه نـــــــــار الخلـــــــيل وإنـــــــــــما في وجنتـــــيه أدمع (الخنساء)

 قد عضــــــه اليــــأس الشديد بنابه في نفسه والجوع في الأحشاء

ولهذا يشبه بعض الدارسين هجرة الشعر العربي إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية بهجرة الشعر إلى بلاد الأندلس في أوائل القرن الثاني فكلاهما عاش في بيئة جديدة[[3]](#footnote-4).

والملمح ذاته يتجلى في قول إيليا:

###  يَبكي بُكاءَ الطِفلِ فارَقَ أُمّــــــــــــــِهِ ما حيلَةُ المَحزونِ غَيرُ بُكاءِ

###  فَأَقامَ حِلسَ الدارِ وَهوَ كَأَنَّــــــــــــــــــهُ لِخُلُوِّ تِلكَ الدارِ في بَيداءِ

###  حَيرانُ لا يَدري أَيَقتُلُ نَفسَــــــــــــــــــــهُ عَمداً فَيَخلُصَ مِن أَذى الدُنياءِ

###  أَم يَستَمِرَّ عَلى الغَضاضَةِ وَالقَذى وَالعَيشُ لا يَحلو مَعَ الضَرّاءِ

وبالمقابل يتجه الشاعر وجهة فنية ليشخص بعضا من مظاهر الطبيعة قائلا:

###  طَرَدَ الكَرى وَأَقامَ يَشكو لَيـــــــــــــــــلَهُ يا لَيلُ طُلتَ وَطالَ فيكَ عَنائي

###  يا لَيلُ قَد أَغرَيتَ جِسمي بِالضَنا حَتّى لَيُؤلِمَ فَقدُهُ أَعضائي

###  وَرَمَيتَني يا لَيلُ بِالهـــــــــــــــــــَمِّ الَّذي يَفري الحَشا وَالهَمُّ أَعسَرُ داءِ

###  يا لَيلُ ما لَكَ لا تــــــــَرِقُّ لِحــــــالَتي أَتُراكَ وَالأَيّامُ مِن أَعدائي

###  يا لَيلُ حَسبِيَ ما لَقيتُ مِنَ الشَقا رُحماكَ لَستُ بِصَخرَةٍ صَمّاءِ

**خلاصة عامة:**

هكذا**،** عرفت بدايات القرن العشرين ظهور حركات أدبية جديدة في بعض الأمصار العربية، وفي بلاد المهجر الأمريكي والتي سعت إلى تطوير مستوى الأدب العربي شعرا ونثرا، وبخاصة ما تعلق بالشعر، ومحاولة تخليصه شكلا ومضمونا من قيود الصنعة والتقليد بوصفهما مظهرين من مظاهر عصر الضعف، وتوجيهه للتعبير عن مشاهد الطبيعة، وصور الحياة، والعواطف الإنسانية بأسلوب سلس وعبارات مؤثرة وخيال مجنح وصور مبتكرة. وقد دعت في هذا الصدد إلى دراسة النصوص الأدبية والنقدية القديمة في عصور الابتكار والتجديد، واستخلاص القيم الشعورية والجمالية والتعبيرية.

إنّ في هجرة الأدب العربي شعره ونثره ما يدل على نوع من الفرادة في مباني النصوص ومعانيها، وهي التي أضحت أداة بأيدي ثلة من الأدباء للتعريف بذواتهم في علاقتهم بأرض لم يألفوها ومجتمعات لم يعاشروها، فسعوا للبحث عن فعل ثقافي يعكس روحهم المشرقية، استحضارا لصور أوطانهم وحنينهم إليها وهم في ديار الغربة وما يعانونه فيها من ألم فراق الصحب والأهل والخلان.

لذا تلونت أشعارهم بألوان تجديدية بما تضمنته من أبعاد إنسانية وتوظيف لعناصر الطبيعة وميل إلى التأمل في الحياة وقضايا الوجود والحرية وأحوال الأنا في صلاتها بالذوات الأخرى التي تشاركها آلامها وأمالها، وهو ما انعكس على نوعية حقولهم الدلالية المعبرة عن فلسفتهم الفنية ومواقفه الحياتية.

أمّا القصيدة المهجرية من حيث شكلها فانبنت على محاولات للتجديد في قوافيها وأحرف رويّها؛ إذ تتغير إيقاعات الأبيات فيها تبعا لتغيـّـر الحالة الشعورية المصاحبة للحظات نظمها، ونُـــلفي لدى بعض الشعراء المهجريين، في أحايين كثيرة، خروجا عن معمارية القصيدة العربية القائمة على نظام الشطرين، باعتمادهم نظام الأسطر الشعرية تأثرا بما حصّــلوه من قراءاتهم ومطالعاتهم للجديد في عالم الكتابة الشعرية في بلاد المهجر.

1. - محمد مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، ط01، دار العلوم العربية، بيروت، 1990، ص30. [↑](#footnote-ref-2)
2. - إيليا أبو ماضي: المصدر نفسه، ص 105. [↑](#footnote-ref-3)
3. - عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث، ط01، دار الوفاء ، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 174. [↑](#footnote-ref-4)